

ثمرات المطابع

كتاب خالد - قرأتُ كتاب خالد من الفاتحة الى الخاتمة . وكنت قد رأيتُ مؤلفه مرةً في بيروت منذ ثلاث سنين في صيدلية صديقي الفاضل مراد أفندي بارودي . فلما قرأتُ في الكتاب وصف « خالد » نفسه انه « حليق الشاربين ، مسترسل شعر الرأس » تمثلت أمام مخيلتي صورة المؤلف جليةً واضحة . والكتاب كغيره من نتائج الافكار يجمع بين الحسن وغير الحسن وذلك شأن كل مؤلفٍ على الاطلاق وقد أدهشني في هذا الكتاب ما يلوح للقارىء لأول وهلة من سعة اطلاع مؤلفه وتعمقه في معرفة اللغة الانكليزية وسهولة انشائه وغزارة مادته . الا انه قد تكلف استعمال الالفاظ الانكليزية النادرة فكانه أراد ان يظهر مقدرته اللغوية ونبوغه في ادراك اسرار تلك اللغة الاجنبية والكتاب مقصود به سرد سيرة « خالد » وما لقي في مسقط رأسه وفي بلاد العربية من تقلبات الأيام فهو مكتوب للعامّة وكان يستحب ان تكون ألفاظه سلسلة كعانيه لا ان يكون معجم كلمات غريبة .

وقد حمل المؤلف في كتابه حملة شديدة على الجزويت والاتراك ولا يعن لنا هنا ان نخطي او نصوب عمله بالنسبة الى هذين العنصرين ولكننا نقول اذا كان هذا التقرير لا يجلب فائدة فما هو الا نفثة مصدر او ثورة غيظ لا تروي غليلاً ولا تشفي عليلاً . وأجدر بأرباب الاقلام ان يكونوا أوسع صدرًا وأكثر حملاً فلا يدفعهم الغضب الى شطمة قلم تنكأ

جرحاً قديماً لا يرجى شفاؤه ولكنها تزيد الملمأ
ومن أحسن ما ورد في الكتاب وصف الأماكن التي زارها المؤلف
ووصف معيشة القرويين في سذاجتها الطبيعية حتى أنك إذا قرأت
وصف الجبال والأودية وبزوغ الشمس ومغيبها، وظلال الصخور وأغصان
الأشجار وخضرة الوادي وخرير الماء وهبوب النسيم وتغريد الطيور وشذا
الازهار، تظن أنك انتقلت بالفكر إلى المكان الذي يصفه وكأنك
تشاهده بعينك . وهي لا شك مقدره للكاتب محمد عليها
وفي الكتاب مباحث كثيرة فلسفية دقيقة تدل على ذكاء خارق
وذهن متوقد، وسعة اطلاع ، والملمأ بأكثر الفنون القديمة والمعاصرة ،
حتى ترى الملمأ تسطع متقطعة كوميض البروق فتبهر البصر بشدة
لمعانها ثم تضمحل بسرعة فيعقبها ظلام دامس . بل هي شرر النار المتطاير
من حديد محمي إلى البياض تحت مطرقة الحداد . تراه ينبعث في كل مكان
ثم يختفي بمثل السرعة التي ظهر بها . ذلك أنه لا يرمي إلى غاية واحدة بل ينتشر
في كل جهة ثم يندثر فلا تدري ما العلاقة التي كانت بين مصدره ومرجعه
ولا مشاحة في ان المؤلف شاعر أكثر مما هو كاتب . وقد بلغ به
الخيال إلى الحلم فيرى ان المستقبل سينشيء دولة عربية في سوريا يجعلها
بهجة الدنيا . وهو حلم لذيذ نتمنى ان يصير حقيقة ولكن بينه وبينها
مراحل حتى الآن لا يبلغها إلا الوهم . ومن المؤكد ان المؤلف قد استفاد
كثيراً من الغربيين ادباً وعاماً وفلسفةً ولكن الفطرة الشرقية لم تزل
شديدة فيه وهي التي تجعل الأمل يقوم عندنا موضع العمل . وهذا ما جعل

الشرقي غارقاً في سبات منامه لاهياً بآماله وأحلامه
 هذه خلاصة ما تأثر به ذهني من مطالعة كتاب « خالد » بسطته
 كما أرسلته النفس وما خشيت ان يسوء موقع بعض الحقائق التي فيه من
 ذلك الفكر المتقدم وذلك العلم الجامع ^{نحيب}
 مختارات المنفلوطي^(١) - رأى السيد مصطفى لطفى المنفلوطي ،
 صاحب « النظرات » ، حاجة طلاب الأدب الى « كتاب يجمع لهم من
 جيد منظوم العرب ومنشورها ، في حاضرها وماضيها ، وفي كل فن وغرض
 من فنونها وأغراضها ، ما يستعينون باستظهاره او ترديد النظر فيه ، على
 تهذيب بيانهم وتقويم لسانهم . . . فبرز دوحة الأدب العربي هزة ،
 تناثرت فيها هذه الثمرات الناضجة » التي سماها « مختارات المنفلوطي » .
 بين يدنا الآن الجزء الأول من هذه المختارات وهو يشتمل على بابي
 الفصاحة والبيان ، والأدب والحكمة ، مأخوذة فصولها عن مئة شاعر
 وكاتب تقريباً بين قديم وحديث ؛ وستليه اجزاء اخرى تتضمن سائر
 ابواب الكتابة . وقد برهن السيد المنفلوطي في انتقاء هذه المختارات عن
 ذوق سليم واطلاع واسع ، الأمر الذي لم نعجب له ، لأن صاحب
 « النظرات » من كتابنا المعدودين ومن ذوي الخبرة التامة بالأدب
 والأدباء . وقد أحسن بوجه عام في وصف كل كاتب من الكتاب الواردة
 أسماءهم في كتابه ، غير اننا كنا نود ان نرى زيادة تفصيل في هذه
 التراجم كأن يذكر لنا دائماً سنة ولادة المترجم كما ذكر غالباً سنة وفاته ،

(١) طبع بمطبعة المعارف في مصر . ثمنه عشرة قروش صاغ وعدد صفحاته ٢٧٠

أوعلى الأقل القرن الذي عاش فيه ، ملحقاً ذلك بأسماء أشهر مؤلفاته ، لكي يطلبها من يرغب في زيادة الاطلاع ، او على الأقل ليكتفي بمعرفة أسمائها . وكان يُستحب أيضاً مراعاة تاريخ الكتاب في إيراد كتاباتهم ، فلا تقرأ شيئاً للمتنبي المتوفى سنة ٣٥٨ هـ وبعده أحياناً لبشار بن برد الذي توفي قبله بنحو من مئتي سنة ، ثم تنتقل دفعةً واحدة الى احد شعرائنا المعاصرين . فهذه الأمور لا تخفى أهميتها في تنسيق المختارات وترتيبها ، وقد راعاها الافرنج قبلنا في مختاراتهم ، فكانت نتيجتها تفوق ناشئتهم في حفظ تاريخ آدابهم الأمر الذي يكاد يجهله حتى المتأدبون منا . على ان « مختارات المنفلوطي » تعدُّ من خير ما لدينا من هذا القبيل

الدولة والجماعة ^(١) — عنوان لكتيب يقع في ٦٥ صفحة وضعه بالتركية احمد شعيب بك ، ونقله الى العربية محب الدين افندي الخطيب احد محرري جريدة المؤيد ، وصدره رفيق بك العظيم بمقدمة عن علم الجماعة في الشرق . الواضع من مشاهير الكتاب الأتراك ، والمترجم من حملة القلم البارعين . أما رفيق بك فمنزلته الادبية معروفة لدى الجميع . ان كتاباً هذا شأنه خليق بكل اديب ان يطالعهُ بامعان ولا سيما انه يحتوي بحثاً مفيداً قلما عاجلته الاقلام العربية الا في العهد الاخير . فامحب الدين الخطيب الشناه الوافر

لما نُكِبَت بيروت نكبتها الاخيرة في ٢٤ فبراير - شباط ، هزّت الأريحية
والمروءة دولة الأمير النبيل محمد علي باشا ، شقيق الجناب العالي الخديوي ، ونخبة من
سراة مصر وكرمائها ، فتألفت لجنة رئيسها دولة الامير ، وقوامها أصحاب السعادة
والوجاهة : محمد شواربي باشا ، ومحمود رياض باشا ، وعزيز عزت باشا ، واسماعيل
باشا صبري ، وحسن باشا مذكور ، واسماعيل باشا ابانظ ، وحسين باشا واصف ،
وعبدالرحمن باشا صبري ، وخليل باشا خياط ، ونجيب باشا شكور ، وسليم بك ايوب
ثابت ، ورفيق بك العظم ، وحبیب افندي لطف الله ، فاحتفلوا باحياء ليلة خيرية
في تياترو الاوبرا الخديوية مساء الثلاثاء في ١٩ مارس الماضي ، لإعانة المنكوبين في
تلك الحادثة الاليمية ، فضمت الليلة أوجه وجهاء المصريين والسوريين يتقدمهم صاحب
الدولة الاميران محمد علي باشا ، وحسين باشا كامل (عم سمو الجناب العالي) وصاحب
العطوفة محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وأصحاب السعادة النظار الكرام . فرأى
الحاضرون في تلك الحفلة الانيقة احسن ما يُرى ، وسمعوا خيراً ما يُسمع
ولما كانت « الزهور » منذ نشأتها الى يومها الحاضر ، عاملةً ابداً على إحكام
الروابط الأدبية بين القطر بن الشقيقين - مصر وسوريا - وقد طالما كتبت
واستكتبت في هذا الموضوع المقالات والقصائد التي كانت صحف هذين البلدين
تردد صداها ، وتبرز مبدأها ، رأت من الواجب عليها أن يكون لها يدٌ في تلك
الحفلة التي أقامها أبناء أحد القطرين لإعانة أبناء القطر الآخر في بلواه . فتقدمت
الى اللجنة بلسان سعادة السري الأمل سليم بك ايوب ثابت ، فأذن لها وحدها
في نشر ما أعدت لتلك الليلة لجمعتها في كراس خاص ، صدرته برسم دولة الأمير
الرئيس ، وقدمت منه عدداً كبيراً الى اللجنة ، ليلة الاحتفال ، ليُضاف ثمنه الى
مبرات المتبرعين . وقد ارتأت « الزهور » ألا تحرم قراءها من تلك النفثات الشائقة ،
فأودعتها في هذا الجزء ليبقى لديهم اثرٌ لروح التآخي والتضامن ، ذلك المبدأ الشريف
الذي بسطة حضرة سليم بك ثابت الخطيب المشهور في ختام تلك الحفلة في خطبة
بليغة أقيمت ارتجالاً فلم يتمكن من إثباتها



صاحب الدولة الامير الخطير محمد علي باشا
سقى الجناب العالي الخريوى